عمارة المساجد العثمانية في بايلك الغرب بين استمرار الطرز المحلية ومظاهر الانفتاح على الطرز الوافدة

The architecture of the Ottoman mosques in the West Bayelek between the continuation of local models and the manifestations of openness to the imported models

توامة نعناعة

Naanaat@yahoocom

جامعة محمد لمين دباغين –سطيف2

تاريخ الاستلام: 2019/03/27 تاريخ القبول للنشر: 2019/05/25

الملخص: يتعلق هذا البحث القائم على دراسة ميدانية ومقارنة بالمساجد العثمانية في بايلك الغرب وخصائصها المعمارية والفنية، حيث يتم تصنيف هذه الخصائص بناء على أصلها المحلي باعتبار أن وجودها كان سائدا في عمارة المساجد قبل التواجد العثماني، أو الوافد الذي يشير إلى مجموعة الخصائص المعمارية والفنية المختلفة المصادر التي لم تعرفها الجزائر قبل هذه الفترة، وكان دخولها إلى الجزائر متزامنا والأوضاع الجديدة الناتجة عن الانضواء تحت لواء الباب العالي، وقد اتضح جليا وجود الطرازين الوافد والمحلي جنبا إلى جنب في مجال التخطيط العام للمساجد، مع سيادة طابع زخرفي عام أكثر بساطة بالمقارنة مع مساجد الفترات السابقة وخاصة مع ما شيد من مساجد عثمانية في المدن الجزائرية الأخرى كقسنطينة، وقد غابت المواد المستوردة كالبلاطات الخزفية والمصنوعات الرخامية، وعليه فإن مجموعة من الصفات التي تطلق على المسجد الجزائري خلال العهد العثماني لا تنطبق كليا على مساجد بايلك الغرب، وهذا ناتج عن الظروف الخاصة التي كان يعرفها هذا الاقليم وعلى رأسها الكفاح المستمر ضد الاحتلال الاسباني.

الكلمات المفتاحية: مسجد، معماري، عثماني، معسكر، وهران، محلي، وافد.

Abstract :

This research, based on a field study and comparison of the Ottoman Mosques In the west of Algeria The architectural and artistic characteristics Which are classified according to their origin to local characteristics Which existed in Algeria before the Ottoman Or characteristics

of foreign tourists that were unknown in Algeria before this period And the entry into Algeria coincides with new situations resulting from accession to the Ottoman Empire. And had it had become clear that local and foreign styles side by side in the planning of the Mosques With the sovereignty of the decorative nature is simple in comparison with previous periods, especially in the mosques of the Ottoman Mosques in other Algerian cities, Constantine for example, And was absent imported materials such as marble and ceramics And the mosques in the west of Algeria with different characteristics relatively in other regions And this refer to the circumstances prevailing in the mantes-la-and especially the conflict with the Spanish occupation

Keyword;Mosque, Architectural, Ottoman, Mascara, Oran, Local, Imported

مقدمة:

تعكس عمارة المساجد بالجزائر خلال العهد العثماني ما ميز هذه الفترة من تطور وتنوع وحركة معمارية كبيرة عرفتها مجموعة من المدن الهامة آنذاك، وهي تظهر جليا وجود مجموعة من المظاهر المعمارية والفنية التي لم تكن معروفة من قبل ودخلت إلى الجزائر مع العهد العثماني نتاجا للتطورات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية-البشرية وما تمخض عنها، بالإضافة لاستمرار مجموعة أخرى من الظواهر التي كانت معروفة في الفترات السابقة للعهد العثماني أو ما سنصطلح عليه بالتقاليد المحلية، والتي تصنف ضمن الطراز المغربي-الاندلسي الذي ساد في الجزائر منذ الفتح الاسلامي وحتى دخول العثمانيين، وبالنظر لمجموعة من الخصوصيات التي ميزت بايلك الغرب على الصعيد السياسي-الاداري والعسكري وما تمخض عنها من واقع اقتصادي وتجاري واجتماعي بالإضافة للموقع الجغرافي وقرب عواصم هذا البايلك من واحدة من أهم العواصم المغربية وذات الاشعاع الثقافي والمعماري الشديد التأثير "تلمسان"، فمن المتوقع أن تنعكس هذه الأوضاع الخاصة لبايلك الغرب على ما تظهره المساجد من خصائص معمارية وفنية أجنبية ومحلية.

وتكمن أهمية هذا الموضوع الذي يهدف أساسا إلى توضيح، تحديد وتصنيف مختلف الظواهر المعمارية والفنية في إطارها المحلي المغربي-الاندلسي أو الأجنبي الوافد، إلى التعرف على الطرز المعمارية للمساجد في بايلك الغرب، وخاصة إلى محاولة الربط بين الأوضاع التي سادت في هذا البايلك على مختلف الأصعدة وخاصة السياسية العسكرية والجغرافية على تطور المساجد في هذه المنطقة، وأيضا إلى مقارنة خصوصيات هذا التطور مع ما شهدته أهم المدن في الأقاليم الأخرى بالتحديد مدينتي الجزائر وقسنطينة، وعليه ينطلق بحثنا الميداني هذا من الاشكالية التالية: **ماهي ابرز الخصائص المعمارية-الفنية التي تبرزها المساجد العثمانية في بايلك الغرب؟**

ومن بين الداراسات السابقة التي تناولت الموضوع لكن في إطاره العام الذي شمل كل المساجد الجزائرية في مختلف الفترات أو حصرا خلال الفترة العثمانية نذكر: الاستاذ رشيد بوروبية _ Apport de l'Algérie a l'architecture religieuse arabo islamique، وكتاب المساجد العثمانية بوهران ومعسكر للأستاذ مبروك مهيرس، إضافة إلى الدراسة التي قدمتها الأستاذة الدكتورة خيرة بن بلة في رسالتها للدكتوراه الموسومة ب: المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني.

وقد قدمنا هذا البحث وفق الإطار الذي يسمح بتحقيق الأهداف والاجابة عن الاشكالية السالفة الذكر عبر اختيارنا لكل من مدينتي وهران ومعسكر بالنظر لطبيعة المساجد الأثرية في المدينتين التي لا تزال محافظة على جل خصائصها المعمارية والفنية الأصلية مما يجعلها تقدم صورة صادقة عن مساجد تلك الفترة، وأيضا لكون المدينتين تعبران بصدق عن واقع الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية التي سادت في بالك الغرب خلال العهد العثماني، وكان ذلك في ثلاثة مباحث أساسية، يتعلق الأول والثاني بدراسة وصفية ميدانية لنماذج مساجد في كل من مدينتي معسكر ووهران، وفي الثالث نصنف المظاهر السابقة الوصف في إطارها المحلي المغربي–الاندلسي أو الأجنبي الوافد.

تمهيد:

عرفت بداية القرن 16 تحولات عميقة وكبيرة في تاريخ المغرب الأوسط عموما (الجزائر) نتيجة لمجموعة من الاضطرابات واللااستقرار وفرار عدد كبير من المضطهدين الاندلسيين وما تبعه من تكالب أوروبي–اسباني على المغرب عموما، وزادت الانقسامات والتواطؤات الداخلية من سوء الوضع، وهي الظروف التي مهدت للأخوين عروج وخير الدين بربروس الطريق نحو دخول المنطقة التي ستصبح بهندسة من خير الدين تابعة للدولة العثماني، وشكل هذا الانضمام تحولا سياسيا كبيرا حمل معه مجموعة من النتائج والتغيرات على جميع الأصعدة: عسكريا، اقتصاديا، اجتماعيا وثقافيا، وكان مجال العمارة والفنون عموما أحد المجالات التي تعكس تماما جل هذه الأوضاع السابقة الذكر، حيث عرفت العمارة الجزائرية تطورا كبيرا نتيجة لما تمخض عن الوضع الجديد من طرز وأساليب معمارية وفنية جديدة إضافة إلى ما كان معروفا في الفترات السابقة.

ومن الاجراءات الادارية التي ميزت الدولة الجزائرية في العهد العثماني التقسيم الإداري القائم على دار السلطان بمدينة الجزائر وثلاث بايلكات، أولها بايلك التيطري وعاصمته المدية، وبايلك الشرق وعاصمته قسنطينة، وبايلك الغرب الذي ترأسه مجموعة من المدن (مازونة، معسكر، وهران، مستغانم)، ويمتد هذا الأخير ليشمل الاقليم المحصور بين البحر المتوسط ودار السلطان شمالا، وبايلك التيطري شرقا، وأرض الجريد جنوبا والمملكة

المغربية غربا، وتتخلل رقعة هذا الاقليم عدّة أودية وأنهار وجبال متصلة تتمثل في سلسلة التل، وضمنه مجموعة من المدن الهامة الأخرى كقلعة بني راشد وملیانة وزكار وبني زروال[1]، وقد عرف هذا الاقليم بطابعه العسكري الكبير والذي استمر لفترات طويلة ومرده للتهديدات الاسبانية–البرتغالية الكبيرة والمستمرة والتي تمكنت من أن تحتل مدينة وهران لفترات زمنية طويلة، بالإضافة للمناوشات الغربية مع المملكة المغربية زيادة على عدد كبير من الاضطرابات والتمردات القبيلة الداخلية، ومن المتوقع أن ينعكس هذا الوضع الأمني والذي كثيرا ما حد الحكام العثمانيين عن استخدام أهم الموانئ الغربية، كما حتم عليهم الحشد المستمر لقواتهم وامكاناتهم نحو هذا الاقليم لتحريره من قبضة الاحتلال الاسباني، وهو ما حرمهم كثيرا أيضا من أن يجدوا متسعا كافيا من الزمن للقيام بمشاريعهم العمرانية–الحضارية.

أولا: مساجد مدينة معسكر: نتعرف أولا على أحوال المدينة خلال الفترة العثمانية خاصة في الجانب العمراني:

1/ مدينة معسكر خلال العهد العثماني:

تقع معسكر شمال غرب الجزائر في السفوح الغربية لجبال بني شقران المطلة على سهل غريس الشهير بمؤهلاته الزراعية الكبيرة، وهي ذات مناخ شبه قاري غير منتظم التساقط غير أنها تحظى بوجود واد تودمان أو وادي عين السلطان كمصدر مائي رئيسي يشطر المدينة لقسمين، شرقي وغربي[2]، وفي هذا الموقع أسس الرومان خلال القرن 2م حصنهم المعروف ب بكاسترانوفا (Castranova)، أي المعسكر الجديد، طمعا في مؤهلاتها الزراعية الكبيرة من الحبوب، قبل أن يتخلوا عنها خلال القرن 3م لصالح القبائل البربرية الذين تذكر المصادر التاريخية بأنهم أقاموها على أنقاض المعسكر الروماني وعرفت على عهدهم بأم العساكر[3].

وبالتزامن والفتوحات الاسلامية التحقت قبائل أخرى بالموقع تباعا، كقبيلة بني برزال العربية ومغراوة البربرية[4]، وقد اتخذت معسكرا للرستميين[5] ولتجاذبات الأدارسة (القرن 2 –4هـ/8–10م) المتاخمين، قبل أن تخضع للفاطميين مع النصف الأول للقرن 4هـ/10م[6]، وبقيام دولة المرابطين استولى يوسف بن تاشفين على المدينة ما بين 1070_1072م[7]، لتخضع من بعدهم للموحدين الذين أقاموا بها قلعة لمراقبة المناطق المتاخمة، وزاد الدور الذي لعبته عندما آلت لملك الدولة الزيانية (633_962هـ/1235_1554م)[8] خاصة لكونها تتوسط ما بين عاصمتهم تلمسان وقلعة بني راشد، ومنذ نهاية القرن 15م وحتى القرن 17م ظلت المدينة تستقبل اللاجئين الاندلسيين الفارين من الاضطهاد، لتصبح هدفا لكل من الاسبان والعثمانيين[9].

بالتزامن وتكرر الحملات الاسبانية على مدينة معسكر وتبعاتها مع بداية القرن 16م تمكن الحكام العثمانيون من الحصول على ولاء كبار مشايخ المنطقة ليجعلوا من معسكر رباط للجهاد ضد الاحتلال الاسباني

لمدينة وهران، حيث أن معسكر بداية من سنة 1706م ولما يقارب القرن من الزمن كانت عاصمة لبايلك الغرب الذي عرف عديد العواصم الأخرى (مازونة، مستغانم، ووهران) [10]، نظرا لميزاتها الجغرافية التي تربط بين المناطق الساحلية بالجنوبية وقربها أيضا من مدينة تلمسان، ومؤهلاتها الزراعية وحصانتها الطبيعية، ومع أواخر العهد العثماني تراجعت المدينة وانحصر عمرانها نتيجة انتشار الأوبئة واستمرار هجومات القبائل المناهضة للعثمانيين[11].

والغالب أن مدينة معسكر كانت مجرد قرية أو تجمع صغير نسبيا قبل أن يقوم العثمانيون بتطوير عمرانها تحديدا في الجزء الشرقي لوادي تودمان، يقول محمد بن عبد القادر الجزائري: "...وتقدمت حكامتها (الدولة العثمانية) في داخلية البلاد حتى وصلوا إلى هذه البلدة (أي معسكر) إخصاصية، وأعجبهم محلّها فشرعوا في بنائها بالحجارة وسعوا لخطّتها، وتأنقوا في بناء دورها على نحو دور الجزائر وأطلقوا عليها إسمها القديم الذي عرفت به قبلهم، وجعلوها مركزا لحاكم تلك النواحي وكانوا يواصلون الغارات منها إلى سائر الجهات، وأعظمهم إهتماما بعمران معسكر الباي محمد بن عثمان الكردي الأيوبي، وكانت ولايته على إيالتها عام 1193، فبنى فيها المساجد والحمامات والآثار العظيمة، وأجرى إليها المياه، وأدار عليها السور المتقن، فاشتهرت وارتحل لها التجار والعلماء[12]"، إذ أن الباي محمد الكبير (1779-1797م)[13] رائد الحركة العمرانية في معسكر العثمانية هو من أعطى للمدينة وجهها العمراني الخاص عبر العديد من المنشآت والمرافق، كالمنازل والقصر[14]، كما قام بتوسيع المسجد العتيق (جامع سيدي المشيد) وزوده بالمياه، وهو مشيد جامع عين البيضاء والمسمى أيضا ب"جامع محمد الكبير" ومكتبته[15]، والأضرحة والأوقاف والمرافق العامة كالفندق والاسطبلات والدكاكين والحمام وورشات الاسلحة والفخار...الخ[16]، فكان هذا التطوير متزامنا والدور الاداري للمدينة كعاصمة لبايلك الغرب إضافة لدورها التجاري والعسكري، حيث حوت المدينة قصبة وتم إحاطتها بسور مزود بخمسة أبواب والأبراج ونقاط المراقبة[17]، إضافة إلى الساحات والجسور وقد امتدت أحياء المدينة خارج حيز السور السابق الذكر على غرار حي عين البيضاء.

2/وصف مساجد مدينة معسكر: وفي مدينة معسكر نجد مسجدين هامين يسمحان لنا بالتعرف على تطور عمارة المساجد العثمانية في الجزائر عموما وفي بايلك الغرب على الخصوص، ويتعلق الأمر بكل من:

أ/ **الجامع الكبير**: وهو الجامع المعروف أيضا باسم جامع مصطفى بن توهامي والواقع في وسط المدينة في الجانب الشرقي لدار الثقافة، وتشير لوحة تأسيسية التي تحوي نصا كتب بالخط الكوفي إلى أن الجامع قد تأسس سنة 1160هـ/1747م من طرف الباي الثالث والعشرين لبايلك الغرب الحاج عثمان (عصمان).

تخطيط المسجد ينتمي للطراز المحلي المنتمي بدوره إلى الطراز المدني القائم على الاروقة الموازية والعمودية على جدار القبلة، أو البلاطات والأساكيب[18]، والسقف الجمالوني والقبة التي تتقدم المحراب، ونتيجة للزيادات المتكررة التي تعرض لها المسجد تحول مسقطه المضلع إلى المتعدد الأضلاع بمحيط قدره 136م، حيث يبلغ أقصى طول ظلع 44م فيما يبلغ العرض 24م، كما أن المدخل الرئيسي قد أضحى مدمجا في بيت الصلاة، هذا الأخير يقسم إلى خمسة أساكيب موازية لجدار القبلة وستة عمودية عليه، تتشكل من اصطفاف البوائك ذات الخمسة عقود المتجاوزة في كل بائكة وهي محمولة على أعمدة مزدوجة ودعامات، بالإضافة إلى رواق في مؤخر المسجد المقابل لجدار القبلة وآخر يتقدم جدار القبلة مباشرة تحدده بائكتين من خمسة عقود التي ترتكز على تجميعات من الأعمدة والدعامات، والمسجد مزود بعدة فتحات ونوافذ صغيرة على غرار تلك الخمسة الكبيرة التي نجدها بالجدار الشرقي أي القبلي (صور 1، 2) (مخطط 1).

صورة 1: الجامع الكبير–منظر خارجي

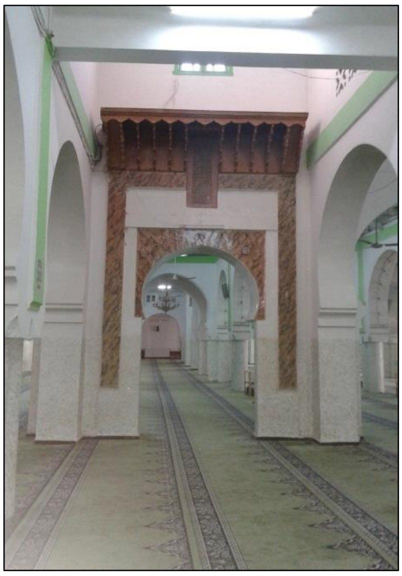

صورة 2: بيت الصلاة ويظهر فيه المدخل الأصلي

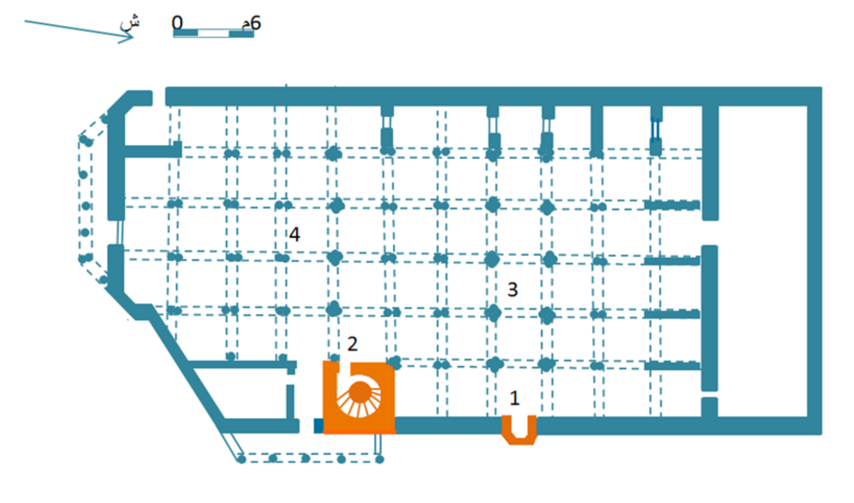

1. المحراب/ 2. المئذنة/ 3. بيت الصلاة قبل الزيادة/ 4. الزيادات في بيت الصلاة

مخطط 1: مسقط الجامع الكبير (عن مهيرس بتصرف)

وفتح في الجدار القبلي للمسجد محراب يتخذ فيه عقد الفتحة الشكل النصف دائري المتجاوز أو الحدوي تزينه أقواس مفصصة وبسيطة، وهو مميز ببساطة واجهته الشديدة خاصة إذا ما قورن مع الثراء الزخرفي الذي كانت تعرفه المحاريب بالجزائر قبل وخلال العهد العثماني، في حين أن البلاطات الخزفية التي تغشي تجويفه السداسي المسقط كليا هي مستحدثة، وقد توج هذا المحراب بقبيبة مضلعة كاملة لا ترى من الخارج للناظر من بيت الصلاة، وللمسجد مئذنة مربعة المسقط كانت تقع في الزاوية الجنوبية-الشرقية قبل أن تصبح ضمن الجدار الشرقي نتيجة للزيادات التي عرفها المسجد، وهي مميزة بمسقطها المربع في البدن والقاعدة وجوسق مثمن المسقط تغطيه قبيبة مضلعة، وتزين واجهات البدن الأربعة بواسطة حنيات مستطيلة تحصر داخلها حنيات معقودة، حيث نجد من الأسفل نحو الأعلى عقد متجاوز عريض ومفصص يعلوه عقدان متجاوزان ثم بائكة من ثلاثة عقود متجاوزة مفصصة، وهي مبنية باستخدام الحجارة من الداخل والآجر من الخارج الذي غطي بطبقة جصية، ومن الداخل يدور السلم حو نواة مركزية أسطوانية صماء (صور: 3، 4)

صورة 3: المحراب

صورة 4: المئذنة

ب/ جامع عين البيضاء: وهو الجامع الواقع على مقربة من السابق في الحي المسمى بعين البيضاء نسبة للعين الموجودة بالجوار[19]، ويسمى أيضا بجامع محمد الكبير نسبة لمؤسسه، أو بجامع المبايعة إذ تم فيه مبايعة الأمير عبد القادر الثانية، وحسب الكتابة المحيطة بالمحراب فالمسجد كان قد بني سنة 1195هـ/1780م على يد الباي محمد بن عثمان الكبير.

ينتمي المسجد للطراز ذو القبة المركزية والقبيبات والاقبية المحيطة بها وهو الطراز الوافد الذي عرفته الجزائر خلال الفترة العثمانية تأثرا بالمساجد العثمانية، حيث أن بيت الصلاة المربع (طول ضلع 16.84م) مسقوف بقبة مركزية محمولة على أعمدة تصطف أسفل مربع القبة لتحمل العقود الحدوية التي تحمل بدورها القبة السالفة الذكر والمدعومة بالحنايا الركنية، ويتعلق الامر بتجميعة من أربعة أعمدة في أركان المربع وثنائية في الأضلع، ويحيط بالقبة المركزية أربعة قبيبات مخفضة فيما غطيت بقية المساحات بما مجموعه إثنى عشر قبوا متقاطعا، وعلى عكس بقية القباب جاءت تلك التي تنقدم المحراب مباشرة غنية بزخارف الأرابيسك الجصية البديعة، وتجدر الاشارة إلى أن بيت الصلاة هذا يرتفع عن مستوى الصحن بستة درجات (صور 5، 6) (مخطط 2).

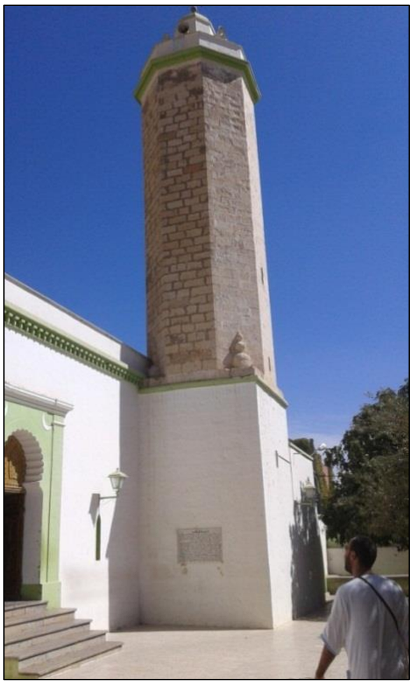

صورة 5: جامع عين البضاء–الصحن

صورة 6: جامع عين البيضاء– بيت الصلاة

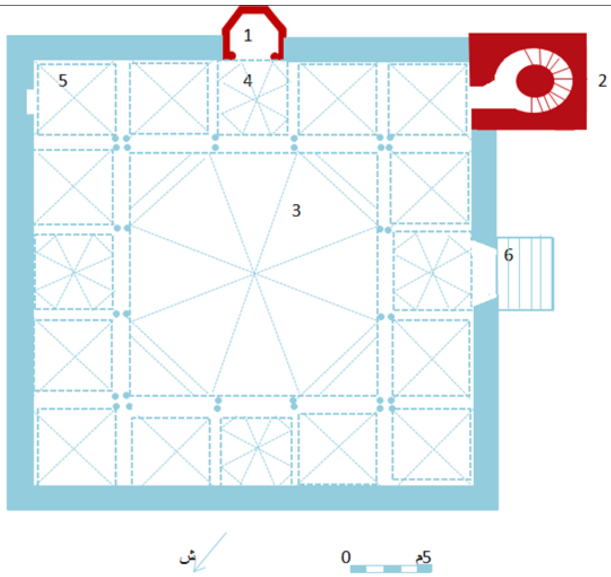

1. المحراب/ 2. المئذنة/ 3. القبة المركزية/ 4. القبيبة المضلعة المحيطة بالقبة المركزية (أمام المحراب)
5. أقبية متقاطعة محيطة بالقبة المركزية/ 6. الدرج الصاعد لمستوى بيت الصلاة

خطط 2: مسقط جامع عين البيضاء

وفي الجدار القبلي فتح محراب بفتحة حدوية مفصصة ويتميز بزخارفه الجصية البديعة، حيث زينت واجهته وتجويف الطاقية التي هي عبارة عن نصف قبيبة مقسمة إلى أشرطة بزخارف الأرابيسك المشكلة أساسا من تشابك أشكال أنصاف المراوح النخيلية والفروع الدقيقة إضافة إلى أشكال كوز الصنوبر، كما تمتد في الواجهة الأطر المستطيلة المحصورة بأشرطة كتابية مورقة كتبت بالخط المغربي حيث تجسد كتابات قرآنية لآية الكرسي وابتهالات

ونصوص تأسيسية تؤرخ لتشييد الجامع جاء فيها: "**إنتهى بحمد الله على يد المعلم أحمد بن محمد بن حج احسين بن صار مشق/ التلمساني رحمه الله في أول يوم ذي القعدة عام خمسة وسبعين ومماية وألف"**[20]، وفي نص آخر ورد: "**د أما بعد أمر بتشييد هذا الجامع المبارك خليفة السلطان السيد محمد باي بن عثمان أ"يده الله آمين".** وتمتد النصوص الكتابية إلى تجويف المحراب حيث نجد في الشريط الفاصل بين الطاقية وأسفل التجويف السداسي المسقط كتابة بالخط المغربي ل**لآية 37 من سورة النور**، وإلى جانب العناصر السابقة الذكر نجد العناصر الهندسية والمعمارية والرمزية، على غرار الأشكال النجمية والجامات والخراطيش وأشكال الصدفة والهلال، وتبرز في أعلى الواجهة ثلاثة شمسيات نصف دائرية[21]، ويمتد هذا الزخم الزخرفي البديع الذي طغى عليه أسلوب الأرابيسك إلى القبة التي تتقدم المحراب (صورة 7).

صورة 7: المحراب

للجامع مدخل رئيسي ينفتح على الصحن بالجدار الجنوبي إلى جانب مدخل ثانوي صغير في نفس الجدار يؤدي مباشرة إلى جوف المئذنة المثمنة المسقط والواقعة بالركن الجنوبي الشرقي، والتي يمكن الولوج إليها أيضا من القاعدة المربعة، التي يعلوها بدن المئذنة المثمن المسقط على غرار الجوسق والطاقية، وهو مبني بالحجارة المنتظمة وخالي من الزخارف باستثناء ما يشبه التفافيح الحجرية المتراكبة التي نجدها فوق الزوايا الأربعة لمربع القاعدة، ومن الداخل وعلى غرار المئذنة السابقة يدور السلم الحجري حول نواة مركزية أسطوانية وصماء (صورة 5).

ثانيا: مساجد مدينة وهران: في ظل التجاذبات الاسبانية العثمانية فإن الأخيرين قد اجتهدوا كلما سنحت الفرصة في اعادة وتعزيز الوجه الاسلامي للمدينة:

1/ مدينة وهران خلال العهد العثماني:

تحتل مدينة وهران[22] موقعا استراتيجيا بتوسطها عواصم بايلك الغرب (مازونة، معسكر ومستغانم) واطلالتها على البحر المتوسط، وهناك تضارب حول تأسيسها الأول الذي كان أواخر القرن 3هـ/10م[23] والغالب أن ذلك كان على يد حاكم الاندلس الأموي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم أو حفيده أبي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، وقد تداولت كيانات مختلفة حكم المدينة التي شهدت على الصراع الفاطمي-الاموي، قبل أن تخضع للمرابطين خلال القرن 6هـ/12م، وعرفت المدينة اضطرابات ناجمة عن الصراع الزياني-المريني، ثم سقطت في يد الاحتلال الاسباني[24] مع مطلع القرن 16م في خضم مطاردة المسلمين الفارين من الاضطهاد، وتزامن هذا تقريبا مع دخول العثمانين إلى الجزائر الذين بذلوا جهودا متواصلة لتحرير المدينة[25] منذ النصف الثاني للقرن 16 وطوال القرن 17م، حتى تمكن حاكم بايلك الغرب الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي 1686-1733م[26] من ذلك العام 1708م وهو الفتح الأول لمدينة وهران، حيث حاول هذا الاخير إعادة الوجه الاسلامي للمدينة ونقل العاصمة من معسكر إلى وهران التي ما فتئت أن عاودت السقوط مرة ثانية في يد الاسبان العام 1732م، لتستمر محاولات بايات الغرب استرجاعها مجددا وهو ما كان للباي الأكحل محمد بن عثمان الكبير سنة 1206هـ/1791[27]، الذي أعادها ثانية عاصمة لبايلك الغرب بديلا عن معسكر.

بالحديث عن تطور عمران المدينة خلال العهد العثماني والذي بدأ فعليا على يد الباي بن عثمان الكبير بعد الفتح الثاني فإن الجدير بالذكر أن المدينة كانت قبل الدخول العثماني والاسباني قد عرفت تطورا عمرانيا كبيرا فقد ورد عن الادريسي (القرن 12م) ذكر ما كان فيها من محلات وأسواق ومرافق تجارية باعتبارها سوقا رئيسيا لسكان المنطقة والمناطق المحيطة، أين تتداول المنتجات الزراعية والصناعية، وخاصة مناؤها التجاري الذي يشهد على مكانتها التجارية الهامة في حوض المتوسط، والذي كان يقوم أيضا بدور دفاعي، وقد ارتبط على ما يبدوا ازدهار المدينة بمينائها إذ أنه بتعرض الأخير لغارات تدهورت أوضاع المدينة وهجرت وشارفت على الاندثار[28]، وبعد فترة الحكم الاسباني الطويل وما شهده من تحول عمراني حاول الباي محمد بن عثمان بدوره تعزيز الوجه الحضاري والاسلامي لمدينة وهران بعد الفتح الثاني عبر دعوة الاعيان والعلماء للسكن بها لتعزيز مكانتها العلمية كما عمل على اصلاح وتطوير عمرانها بداية بترميم الأبراج والحصون، دون أن يهمل بناء المساجد حيث شيد مسجده الجميل المعروف بجامع الباشا نسبة إلى محمد باشا أحد المجاهدين الفاعلين في تحرير المدينة[29].

2/ وصف مساجد مدينة وهران: وفي مدينة وهران نجد مجموعة من المساجد التي أسس أغلبها بعد الفتح الثاني لمدينة وهران في خضم السعي لتطوير عمران المدينة وتعزيز وجهها الاسلامي، ويتعلق الأمر بجامع الباشا ومدرسة خنق النطاح إضافة إلى مسجد سيدي الهواري وجامع الباي محمد الكبير المعروف حاليا بمسجد المستشفى والذي تعرض لتغيير كبير فقد معه صورته باستثناء مئذنته التي لا تزال سليمة، والشبيهة تماما بالمآذن الزيانية من حيث مسقطها المربع وتزيينها بأشكال العقود المسننة وشبكة المعينات التي تزين أيضا واجهة الجوسق المربع المسقط إضافة إلى بائكة العقود التي نجدها في الحافة العلوية للبدن والجوسق أين تتوج الشرفة بالشرافات (صورة 8).

صورة 8: مئذنة جامع الباي محمد الكبير (جامع المستشفى)

وسنتناول في هذا البحث ولغرض تحقيق اهدافنا مسجدين لا يزالان يحافظان على عمارتهما وعناصرهما:

أ/ جامع الباشا: يقع جامع الباشا في المدينة القديمة بجوار أحد أهم معالم مدينة وهران "دار الباي أو القصر الأحمر"، شرق وادي الرحى، وحسب النص الكتابي في اللوحة الكتابية المحفوظة حاليا بمتحف أحمد زبانة فقد تم بناء المسجد عام 1206هـ/1792م على يد حاكم الجزائر الباي حسن باشا (1205-12012هـ/1791-1798م) الذي خصص للمسجد مجموعة من الأوقاف[30].

والمسجد متأثر بدوره بالمساجد العثمانية ذات القبة المركزية والمحاطة بالقبيات والأقبية المتقاطعة، فهو ضمن الطراز الوافد، ويتعزز هذا الطراز بمسقط صحن المسجد النصف دائري الذي يذكرنا بصحن مسجد نور عثمانية في اسطنبول، والبارز أيضا في هذا الصحن هو المدخل المميز معماريا وزخرفيا، فهو عبارة عن درقاعة مسقوفة بقبة محمولة على أربعة عقود، تليها مباشرة الميضأة التي هي عبارة عن نافورة متوجة بمنحوتة تجسد مجموعة من الثمار،

فيما زينت واجهة المدخل الخارجية بزخارف بديعة يميزها عقد الفتحة المتجاوز المنكسر بزخارف الأبلق المشكلة من تناوب سنجات كاذبة بيضاء وداكنة تحتوي حشوات جصية مورقة التي نجدها أيضا في الركنيات المحصورة بين العقد السابق الذكر والاطار المستطيل المحيط به والمشكل من سلسلتين هندسيتين عموديتين وشريط كتابي أفقي بالخط المغربي، حيث يتوسط حشوة كل ركنية عنصر نجمي بارز، وفي الأعلى نجد شريط كتابي بالخط الكوفي المورق، بالإضافة إلى الكوابيل التي تصطف في أعلى واجهة هذا المدخل (صورة 9).

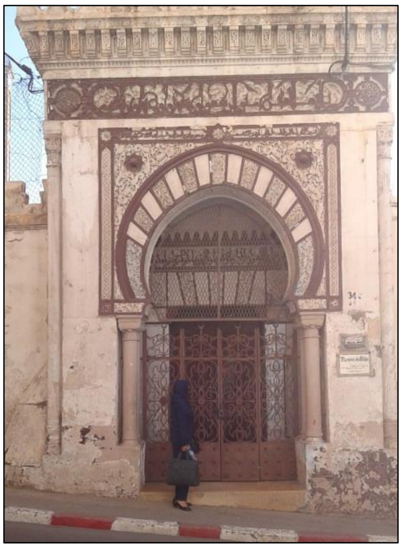

صورة 9: مدخل جامع الباشا

عبر الصحن الذي تصطف على امتداد محيطه المقوس بوائك العقود المتجاوزة المحمولة على الأعمدة يمكن الولوج مباشرة من باب معقود إلى بيت الصلاة، وهو ذو مسقط مربع تقريبا، مقسم إلى سبعة بلاطات عمودية على جدار القبلة وسبعة أساكيب موازية، له تتشكل هذه البلاطات من امتداد بوائك العقود المتعامدة، التي تقسم بتقاطعها بيت الصلاة إلى مربعات غطي المركزي منها بقبة مركزية ترتكز على ثمانية عقود حدوية منكسرة والمحمولة بدورها على مجموعة من الدعائم والأعمدة المزدوجة، فيما غطيت بقية المربعات بالتناوب بين القبيبة والقبو المتقاطع، وأسفل القبة المركزية نصبت دكة المبلغ الخشبية وهي عبارة عن مصطبة خشبية مربعة ترتكز في الزوايا على أعمدة صغيرة ويتم الارتقاء إلى سطحها عبر سلم، وفي مقابل هذه الدكة وفي جدار القبلة فتح تجويف المحراب ذو العقد النصف دائري المتجاوز والذي غشي حاليا كليا ببلاطات خزفية مستحدثة وهو ما يجعلنا نجهل كيف كانت صورته الأصلية (صور 10، 11) (مخطط 3).

صورة 10: بيت الصلاة

صورة 11: دكة المبلغ

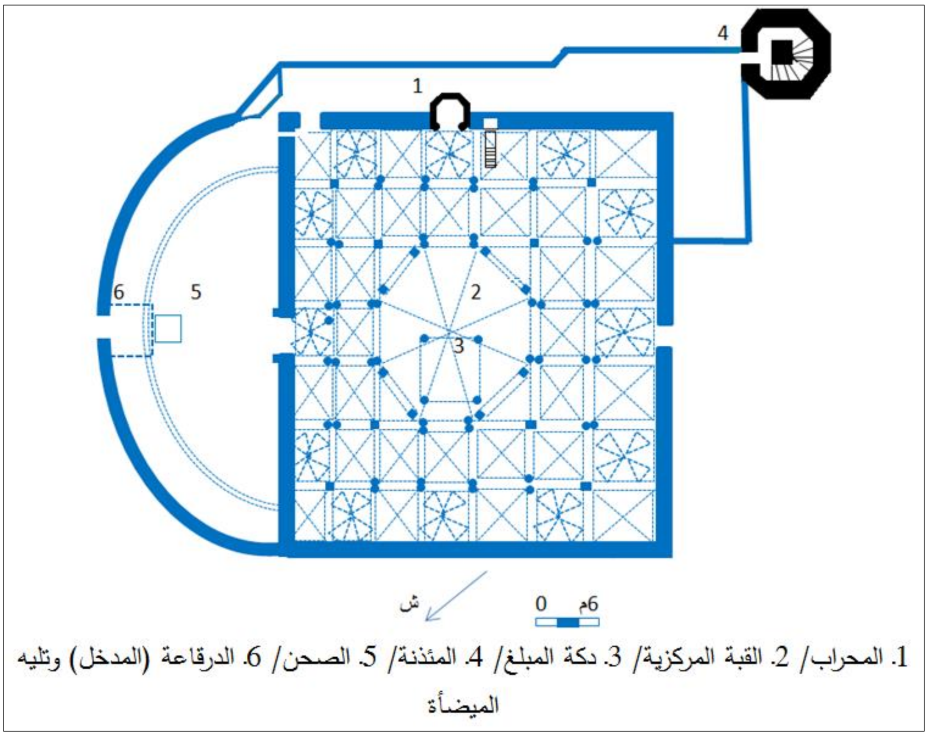

مخطط 3: مسقط جامع الباشا

وعلى يسار المحراب نجد أحد الكنوز التي لا يزال يحتفظ بها الجامع وهو منبره الخشبي المتحرك على عجلات تسمح بإدخاله واخراجه إلى ومن غرفة خاصة به ذات باب من مصراعين تعلوه شرفة ذات شرافات مثلثة وحادة تحمل فوقها طاقية مخروطية مزينة بزخارف نباتية ،وهي شبيهة تماما بالطاقيات المخروطية المعروفة في منابر ومآذن العثمانيين، والمنبر مميز بمدخل المرقى ذو العقد الحدوي، وكذلك بزخافه الهندسية والنباتية المنفذة بالألوان (صورة 12).

على مقربة من الزاوية الجنوبية الخارجية للبيت الصلاة تنتصب المئذنة المثمنة المسقط منفصلة عنه، وهي مئذنة مثمنة القاعدة والبدن، هذ الأخير قسم بواسطة طنف إلى قسمين متماثلين حيث يزين كل قسم بحنيات

غائرة بشكل عقود نصف دائرية مفصصة، يعلو كل صف شريط من الفسيفساء الخزفية باللونين الأبيض والأزرق، وتدور الشرفة الحديدية حول الجوسق المثمن المسقط والمزين بالفسيفساء كالسابقة الذكر وهو متوج بقبيبة مجزعة من حيث يخرج السفود الذي تصطف فيه التفافيح والهلال، وعلى غرار مئذنة عين البيضاء بنيت المئذنة بالحجاة المنتظمة والغير الملبسة (صورة 13).

صورة 12: المنبر

صورة 13: المئذنة

ب/ مسجد مدرسة خنق النطاح (جامع الباي محمد الكبير):

يقع هذا المسجد المعروف أيضا بجامع محمد الكبير خارج حدود المدينة القديمة شرقا، ولا يعرف التاريخ الفعلي لتأسيس المدرسة أصل المسجد غير أن الأكيد أنه كان على يد الباي محمد الكبير لاتخاذها رباطا للمجاهدين ضد الاحتلال الاسباني للمدينة، وقد انتقل اليها هذا الاخير رفقة عائلته هربا من الوباء الذي اجتاح مدينة وهران بعد الفتح الثاني لها، وقد تعرضت لبعض التغييرات على يد الاحتلال الفرنسي.

يسمح لنا مدخل بسيط فتح في الجدار الجنوبي بالولوج مباشرة إلى قاعة الصلاة المستطيلة حيث الأعمدة التي ترتكز عليها العقود المتجاوزة المنكسرة الحاملة للسقف، وفي الجدار الشرقي وعبر مدخل معقود يتم الولوج إلى قاعة مربعة صغيرة أو "الإيوان" المغطى بقبة ترتكز على حنايا ركنية صدفية الشكل، وعلى جانبي هذه القاعة نجد غرفتان صغيرتان حيث تؤدي الجنوبية إلى المئذنة المربعة المسقط في الركن الجنوبي الشرقي (صورة 13) (مخطط 4).

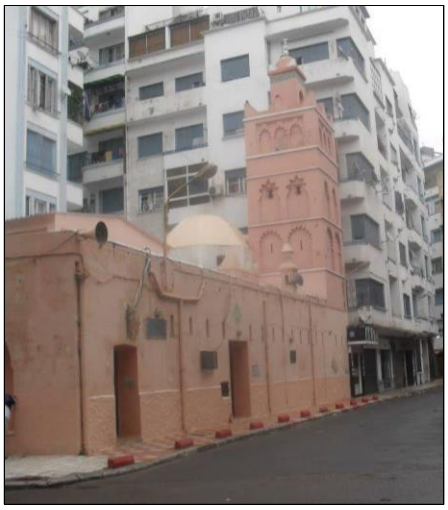

صورة 13: مسجد (مدرسة) خنق النطاح

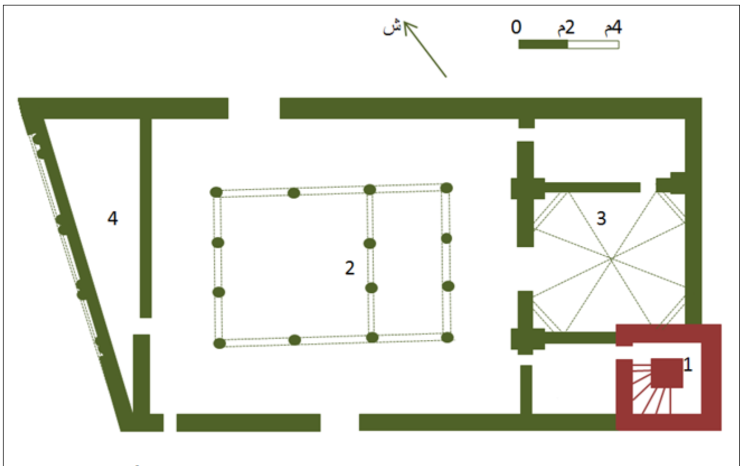

1. المئذنة/ 2. بيت الصلاة/ 3. الإيوان/ 4. الميضأة

مخطط 4: مسقط مسجد خنق النطاح

والبارز في هذا المسجد أنه قد استخدم كمسجد بالرغم من خلوه من المحراب وهي الظاهرة التي ليس لها مثيل على الأغلب في العمارة الاسلامية خاصة وأن المدارس كانت تزود بمحراب الذي غالبا ما يكون موجودا في قاعة الصلاة على غرار ما نجده في مدرسة سيدي الكتاني بمدينة قسنطينة بالرغم من ملاصقتها لجامع الكتاني.

بالنسية للمئذنة المربعة المسقط فهي مميزة بزخارف بدنها العمائرية، إذ قسم بواسطة أطناف بارزة إلى ثلاثة مساحات متراكبة تشغلها حنيات بشكل بوائك العقود تتخللها فتحات بسيطة، حيث نجد في السفلى عقدين متجاوزين مفصصين يعلوهما عقدين منكسران ثم بائكة بثلاثة عقود متجاوزة ومفصصة، تزين الشرفة بشرافات مثلثة و مدرجة على غرار تلك التي تزين حافة الجوسق المربع المسقط والمتوج بقبيبة يخترقها سفود (صورة 14).

صورة 14: مئذنة مسجد خنق النطاح

ثالثا: المظاهر المحلية والوافدة في مساجد بايلك الغرب:

والمقصود هنا **بالمظاهر المحلية** تلك الخصائص المعمارية أو الفنية التي سبق وعرفتها الجزائر قبل العهد العثماني، وكما هو معروف فقد ساد في المغرب الأوسط الطراز المغربي-الأندلسي في مجال العمارة والفنون والمميز بدوره عن بقية الطرز الاسلامية، ففيما يتعلق بالعمارة المسجدية يتسم المسجد المغربي-الاندلسي بانتمائه للطراز المدني القائم على البلاطات والأساكيب أو نظام الأروقة العمودية والموازية لجدار القبلة والتي تشكلها بوائك العقود الحاملة للسقف الجمالوني، ويتوسط كتلة المسجد الذي قد يتضمن مجنبتان ورواق خلفي الصحن، كما يتميز هذا الطراز المستمد أولا من جامع القيروان قبل أن يتبلور نهائيا في جامع قرطبة الذي أثر تأثيرا بالغا في توجه العمارة المغربية-الاندلسية بوجود المآذن المربعة المزينة واجهاتها بأشكال العقود المختلفة أو بشبكات المعينات ووجود المحاريب ذات الفتحة الحدوية غالبا أو النصف دائرية، ويسود في هذا الطراز من الناحية الزخرفية أسلوب الأرابيسك المورق بالإضافة لاستخدام الفسيفساء الخزفية ذات الأشكال الهندسية.

بينما نعبر ب"**الوافدة**" عن مجموعة الظواهر التي لا تنتمي إلى أي مما كان معروفا في المغرب الأوسط قبل مجيئ العثمانيين، وهي مجموعة الخصائص المعمارية والفنية التي دخلت إلى الجزائر تزامنا والمستجدات الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن التحول السياسي الكبير والمتمثل في الانضواء تحت لواء الباب العالي، وهي مختلفة المصدر بالنظر للديناميكية الكبيرة التي عرفها تنقل المؤثرات الثقافية بين مختلف الأقطار في العهد العثماني، فقد تأتي من الأناضول (تركيا)، مصر، إيران، أوروبا...الخ.

يتضح من خلال **تخطيط المساجد العام** والطراز الذي جاء وفقه بيت الصلاة من حيث تقسيمه وتسقيفة استمرار الطراز المحلي المغربي-الأندلسي كما يظهره كل من الجامع الكبير بمعسكر ومسجد خنق النطاح والذي جاء جنبا إلى جنب مع الطراز الوافد مع التأثيرات العثمانية للجزائر والقائم أساسا على نظام القبة المركزية والقبيبات والأقبية والمجسد في كل من جامع عين البيضاء والباشا، وهو ما عرف في كامل إيالة الجزائر، ويشمل أيضا **العناصر المعمارية للمسجد**، ومنها **المئذنة**، حيث أن مآذن بايلك الغرب قد جاءت وفق الطرازين المحلي المتمثل في الشكل المربع المقطع والمزين بأشكال العقود الظاهر في مئذنتي الجامع الكبير وخنق النطاح أو المزين بشبكات المعينات كما هو الحال في مئذنة جامع المستشفى، والبارز هنا أن المآذن ذات الطراز المحلي جاءت متماشية وطراز المسجد، كما أن المآذن المثمنة التي نجدها في كل من جامع عين البيضاء وجامع الباشا والمنتمية للمظاهر الوافدة التي لم تعرفها الجزائر قبل العهد العثماني قد جاءت في مساجد ذات تخطيط وافد قائم على القبة المركزية والقبيبات المحيطة والأقبية، وهو ما يشير إلى نوع من الوحدة بين طارز المسجد والمئذنة والتي غابت في كثير

من البايليكات الأخرى، ففي قسنطينة مثلا نجد مسجد بطراز محلي ومئذنة مثمنة أو اسطوانية، والعكس في مدينة الجزائر فنجد مثلا الجامع الجديد ذو الطراز الوافد له مئذنة مربعة[31].

بالحديث عن المحراب وهو أهم **العناصر المعمارية** المسجدية وبغض النظر عن طراز المسجد فقد ساد شكل المحراب المضلع المسقط وذو الفتحة الحدوية وهي ميزة محاريب المغرب الأوسط المتأثرة مباشرة بمحراب جامع قرطبة[32] ذو الفتحة الحدوية والمزينة بالسنجات الكاذبة والزخارف المورقة والكتابية والحنيات المعمارية والهندسية[33]، وهو ما يتجلي بوضوح في محراب الجامع الكبير بتلمسان ذو المسقط السداسي الذي اتخذه المرابطون أولا خلالفا للشكل المثمن في قرطبة[34]، وهو ما يتأكد خاصة في محرابي الجامع الكبير وعين البيضاء، حيث أن الأول جاء مخالفا للتقاليد السابقة والسائدة في تلمسان مثلا من حيث ثراء الزخارف الجصية وأقرب معماريا من حيث طاقيته الكاملة والغير بارزة من الخارج، عكس الثاني ذو الزخارف الجصية الغنية والطاقية النصفية البارزة من الخارج مع تسجيل غياب السنجات الكاذبة التي تميز محراب جامع قرطبة ومجموعة المحاريب المتأثرة به وعلى رأسها محراب الجامع الكبير بتلمسان ومجموعة أخرى من المحاريب الأثرية بنفس المدينة، والبارز في محاريب بايلك الغرب هو عدم تأثرها شكلا ولا حتى زخرفة بالظواهر الوافدة، فقد ظلت محتفظة بمحليتها بالرغم من الاتجاه الكبير والغير مسبوق الذي عرفته الجزائر خلال العهد العثماني بالاتجاه نحو استخدام البلاطات الخزفية ذات الزخارف النباتية في تزيين وتغشية تجويف المحاريب، كما نراه في مجموعة محاريب مدينتي الجزائر وقسنطينة.

بالنبة **للمنبر** وبالنظر لكون منبر جامع الباشا النموذج الأصلي الوحيد والذي جاء على غرار المنابر المغربية مصنوع من الخشب ومتحرك، فهو محمول على عجلات، حيث أن هذه الظاهرة من الظواهر البارزة التي تطبع المنابر في المغرب عموما[35]، ومن حيث الشكل ذو المدخل المعقود بعقد متجاوز وغياب الجوسق وباب الروضة فإن هذا المنبر يبدوا أيضا متأثرا بالمنابر المغربية وهو ما يمكن الاطلاع عليه في منبر الجامع الكبير بالجزائر المرابطي والمحفوظ حاليا بمتحف الفنون القديمة، غير أننا نجد مجموعة من الإشارات التي توحي بوجود تأثير وافد واضح في الطاقية الخشبية المخروطية ذات الزخارف النباتية التي نجدها فوق الشرفة المزينة بشرافات مثلثة حادة التي تعلو مدخل غرفة المنبر المزود بابا خشبي ذو مصراعين، كما يتضح هذا التأثير في أسلوب الزخرفة بالتلوين السائد في المنبر والذي جسدت به عناصر زخرفية هندسية متنوعة تؤطر عناصر نباتية مورقة، وتجدر الإشارة إلى أنه ومن الناحية المعمارية لا نجد في بقية المساجد ما يشير إلى وجود غرفة خاصة بالمنبر مما يجعلنا نرجح بكون المنابر الأصلية لهذه المساجد لم تكون متحركة على عجلات.

بالتفصيل في **الخصائص الفنية–الزخرفية** لمساجد بايلك الغرب فقد اتسمت عموما بتراجع كبير في الزخم والحضور القوي للمساحات المزخرفة والتي اقتصرت على عناصر محددة غالبا ما تمثلت في المحراب أو بعض القباب أو المآذن أو المداخل، وقد ساد فيها الطراز المحلي المتمثل أساسا في الأرابيسك الجصية على غرار ما نجده في محراب جامع عين البيضاء والقبة التي تتقدمه وأيضا في مدخل جامع الباشا، وقد استمر استخدام العناصر الهندسية بالخصوص النجمية لكنه بشكل محتشم وأقل جمالية وابداعا مما نجده في مساجد الفترات السابقة بالتحديد في تلمسان، وعليه فيمكن القول أن العناصر النباتية كانت حاضرة في أغلب الحالات وفق الأساليب المعروفة سابقا مع وجود بعض العناصر المورقة الوافدة التي نجدها في منبر جامع الباشا، فيما ظلت المواضيع الكتابية حاضرة في الزخرفة وكان حضورها قويا في محراب عين البيضاء كما نجدها في مدخل الباشا، وهنا نلاحظ انحصار كبير للخط الكوفي وسيادة واضحة للخط المغربي.

من حيث **المواد** فإنه يمكن القول أن بايلك الغرب قد استغنى إلى حد كبير في مساجده عن تلك المواد التي عرفت رواجا كبيرا خلال الفترة العثمانية في بقية الأقاليم والمدن (قسنطينة، الجزائر مثلا...) ونذكر من هذه المواد الرخام الذي يعد اتساع استخدامه احدى السمات المعمارية العثمانية، ويعد الاستخدام الواسع للتغشية بالبلاطات الخزفية أحد أهم التأثيرات العثمانية الوافدة على العمارة الجزائرية، غير أن مساجد بايلك الغرب قد بقيت على ما يبدو بعيدة نبيا عن هذا التأثير وما نجده حاليا في بعض المحاريب هو مستحدث كليا، وفي ما يخص تلك البلاطات التي نجدها في جدار المؤخرة المقابل للجدار القبلي للجامع الكبير بمعسكر فقد تم جلبها من أماكن أخرى، فيما يعبر استخدام الحجارة والآجر والخشب عن استمرار لما كان متداولا في الفترات السابقة، وعليه فيبدوا أن الأمر كان يقتصر على المواد المحلية وتم الاستغناء عن تلك المواد المستوردة من الخارج، وقد يكون هذا مرتبطا بالظروف الخاصة السابقة الذكر التي كان يعيشها هذا البايلك، والتي تكون قد حدت من موارده المالية بالخصوص أو قد تكون حرمت القائمين على تمويل الانشاء من القيام بعمليات الاستيراد بحرمانهم من الموانئ الآمنة.

خاتمة:

اتسمت عمارة المساجد العثمانية في بايلك الغرب بالجمع بين ما كان معروفا سابقا في المغرب الأوسط مع ما تم استيراده من مؤثرات معمارية وفنية أجنبية شاع استخدامها خلال العهد العثماني وأضحت من خصائص العمارة الجزائرية البارزة، غير أنه ومقارنة بالسائد في المناطق الأخرى وتحديدا في كل من عاصمة بايلك الشرق ودار السلطان فقد اتسمت المساجد في بايلك غرب بالجنوح نحو البساطة والتقشف، هذا التقشف يتأكد أكثر في

الجانب المادي حين استغنى مشيدوا هذه المساجد في هذا البايلك كليا أو جزئيا عن مجموعة من أهم العناصر التي طبعت العمارة الجزائرية في العهد العثماني والتي كانت تأتي عن طريق الاستيراد ويتعلق الأمر أساسا بمادتي البلاطات الخزفية والرخام، وعليه فإن الحديث عن خصائص العمارة الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني وبأن من أهم ميزاتها هو الاستخدام الواسع للبلاطات الخزفية والرخام يجب أن يستثنى منه بايلك الغرب، وهذا قد يكون مرتبطا أساسا بالظروف الأمنية وكونه كان دار جهاد مضني ضد الاحتلال الاسباني وما نتج عن ذلك من اوضاع اقتصادية وتجارية خاصة في هذه المنطقة، وربما أيضا حتمت على حكام هذا البايلك بتوجيه امكانياتهم نحو الجانب العسكري أكثر، وهذا لا ينطبق على عدد المساجد حيث أسست مجموعة هامة من المعالم المسجدية وهذا قد يعود لكونها منارات ومراكز تخدم الحاجات الجهادية للمنطقة، عبر حشد وإيواء المجاهدين.

إن الحديث عن العمارة المسجدية في بايلك الغرب يجرنا مباشرة لعدم اغفال وجود عامل تأثير محلي قوي وهو مدينة تلمسان أهم عواصم المغرب حيث نجد مجموعة هامة من المساجد العائدة للفترات السابقة بالتحديد المرابطية والزيانية والمرينية، وعليه فمن المتوقع أن يكون التأثير الذي مارسته هذه العمائر في بايلك الغرب قويا، غير أن الواقع وإن أثبت ذلك من الناحية المعمارية والشكلية للعناصر المعمارية الخاصة بالمسجد كالمآذن المربعة والمحاريب ليس بكذلك لما يتعلق الأمر بالغنى الزخرفي وجودته، حيث أنه من هذه الناحية تبدوا المساجد العثمانية أكثر بساطة، رغم أن العناصر والمواضيع الزخرفية كانت وفية في الغالب للتقاليد المحلية.

وفي الأخير وبالنظر لطبيعة الموضوع فإننا نوصي بإجراء دراسات بالخصوص أكاديمية تتعمق أكثر في البحث عن العمارة بهذا البايلك، بالتحديد في الربط بين الظروف والخصوصيات التي كانت وراء وجود ميزات مختلفة وأكثر بساطة في بايلك الغرب مقارنة ببايلك الشرق مثلا، وهو ما جعل بعض الصفات التي تطلق على أنها من الخصائص العامة لعمارة المسجد بالجزائر خلال العهد العثماني لا تنطبق على بايلك الغرب، بالاضافة للربط بين ما يظهر من تأثيرات وافدة والطرق التي سلكتها أو دفعت بوجودها في هذه المنطقة، بالخصوص السياسية والاجتماعية-البشرية والتجارية منها.

---

[1]- T.Shaw,Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais par Maccrarthy, paris, 1830, p 216.

[2]- عدة بن داهية ، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، الجزائر، 2005، ص 8، 10، 13.

[3]-Rozet et Carette, L'Algérie histoire et description, Paris, p 125.

[4]- عبد الرحمان إبن خلدون، تاريخ إبن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م ، ص 34، 72.

[5]- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3، مطابع بدران وشركاءه، بيروت، 1964م، ص 816.

[6]- إبن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس، 1948، ص 300، 348.

[7]- الشريف الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق محمد حاج صادق، 1983، ص 103.

[8]- عدة بن داهية، المرجع السابق، ص 51، 52، 53.

[9]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 247، أنظر أيضا: محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، الجزء الأول والثاني، ط 2، دار اليقظة العربية، بيروت، د.ت، ص 22.

[10]- عدة بن داهية، المرجع السابق، ص 53، 54.

[11]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 247، 249، 252، وقد عاشت المدينة عدّة اضطرابات بسبب التهديدات المغربية وما كانت تشهده المنطقة من الثورات باسم قبائل وطوائف عدّة كالدرقانية والتيجانية من جهة أخرى، انظر: عدة بن داهية، المرجع السابق، ص 55-57.

[12]- محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 22، و ذكر حمدان خوجة عنها: "سكانها من الأتراك والعرب والبربر وفيهم الكثير من الكراغلة...إنهم فلاحون ويشتغلون خاصة بمضاعفة أجناس الخيل المختلفة وغيرها من الحيوانات الأخرى، يمارسون التجارة مع بني ميزاب... وعندما كانت وهران في قبضة الإسبانيين كانت معسكر هي مقر الباي، وكانت المقاطعة عندئذ غنية، وشاع الترف في معسك ..." أنظر: حمدان خوجة بن عثمان، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق الزبيري محمد العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م ، ص 97.

[13]- المعروف أيضا بمحمد الكبير أو محمد الأكحل، الذي حضي بالتقدير بالنظر لبلائه في مواجهة المجاعة والطاعون اللذان إجتاحا المدينة، كما كان له الفضل الكبير في الفتح الثاني لمدينة وهران وإسترجاعها من أيدي الإسبان، حيث عادت لتكون عاصمة لبايلك الغرب وكان لها نصيب من الحركة المعمارية التي قادها الباي، فبنى مساجد ومدارس عديدة منها جامع الباشا ومدرسة خنق النطاح، إضافة لما كان في معسكر كجامع عين البيضاء وجامعي الكرط والبرج، أنظر مبروك مهيرس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2، 2009، ص 51، 53

[14]- مبروك مهيرس، نفس المرجع، ص 28.

[15]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 249.

[16]- M. Kaddache, l'Algérie durant la période Ottomane, office des publication universitaire, Alger, 1992, p 140.

[17]- هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، الجزء الأول، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1976م، ص 74.

[18]- حيث أن المساجد في المغرب والاندلس عموما جاءت وفق الطراز النبوي القائم على قاعة الصلاة المقسمة إلى أروقة عمودية وموازية لجدار القبلة مع وجود مجنبات ومؤخرة (ظلات) مسقوفة أيضا، حيث تستمر الأروقة أقل عرضا وعمقا وفي الوسط نجد الصحن، وهذا الطابع رسخه جامع القيروان في المغرب مع العلم أن المساجد في المغرب الأوسط (الجزائر) لا تحوي المجاز القاطع وهو رواق أوسط عمودي على جدار القبلة أكثر عرضا وارتفاعا من بقية الاروقة، انظر:

R. Bourouiba, Apport de l'Algérie a l'architecture religieuse arabo islamique, office de publication universitaire, Alger, 1986, p 37,40, 66.

وللمزيد حول طرز المساجد عموما أنظر: خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزئر، معيد الآثار، 2008 2007 م، ص 56-59.

[19]- مبروك مهيرس، المرجع السابق، ص83.

[20]- وقد ورد اسم بن صار مشق في كتابة أخرى بمدينة معسكر والغالب أنه اسم صانع من عائلة تركية.

[21]- للمزيد حول وصف هذا المحراب وخصائصه أنظر: نعناعة توامة، تطور العناصر المعمارية المسجدية في الجزائر خلال العهد العثماني، المنبر والمحراب والمئذنة، نور للنشر، 2018، ص 236-240.

[22]- وبخصوص التسمية اختلفت الروايات فمنها ما يرى بأن إسم "وهران" جاء من "واه" و"رانا" بمعمى "ها نحن"، فيما تذهبت بعض الرويات إلى أن الإسم مشتق من إسم أمير فاطمي الذي كان يدعى بوشارام واهرام وهران، أو قد يكون اقتبس من إسم المجرى المائي الذي يحمل اسم واران، أنظر: يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2002، ص 22، وذهب بعض الباحثين إلى أن معنى إسم وهران هو المكان صعب المنال، واللفظة عربية أصيلة معناها وعر، ويرى آخرون بأنها من قبيلة هوارة التي سكنت المدينة، أو إسم خرز المغراوي الذي اختطها، أو

"وهران" الذي كان يبني فيها، وترجح آراء أخرى بأن الإسم اشتق من التوهر وهو التعب والهلاك الذي لحق بالمغراويين الذين سكنوا المنطقة، أنظر: محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 318-319.

[23]- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 306-313.

[24]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 23.

[25]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976ص 111.

[26]- وقد تداول على حكم المدينة بعد الفتح الأول كل من محمد باكداش وكوسة أوزن علي شاوش وعبدي، وأهم من تولاها بعد الفتح الثاني نجد حسن باشا ومصطفى وأحمد خوجة وعلي داي والحاج علي داي الشريف ومحمد داي وعمر وعلي برسالي والحاج محمد وعلي خوجة واحساين باشا داي، انظر: محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1398هـ/1978م، ص 188.

[27]- فبعد وفات الباي محمد باشا بالجزائر وتولي بابا حسن باشا من بعده، قام الأخير بتعين الباي محمد بن عثمان على معسكر وعهد إليه بمواصلة الحرب ضد الإسبان في إطار الجهود المتواصلة لتطهير بايلك الغرب نهائيا من التواجد الإسباني، والذي كان شديد الرغبة وفي تحرير المدينة مما أجبر الإسبان على عقد اتفاقات مع باي الجزائر تنص على خروجهم من المدينة في 13 من رجب 1206هـ/1791م، انظر: أبو عبد الله الأعرج السليماني، تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبد القادر ، تحقيق حساني مختار، المكتبة الوطنية، الجزائر، دت، ص 226-227.

[28]- بشير مقيبس، مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 84.

[29]- أبو عبد الله الأعرج السليماني، المرجع نفسه، ص 226-227.

[30]- رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شبّوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/ 1979م، ص 221.

[31]- للمزيد أنظر: نعناعة توامة، المرجع السابق.

[32]- عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية في العصر الإسلامي، ج2، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص 327.

[33] - G. Marçais, L’architecture musulmane d'occident, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Arts et m'tiers graphique, paris, 1955, p 170.

[34]- R. Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie, ENAG Edition, Alger 2011, p 113.

[35] - Rachid Bourouiba, L’art religieux Musulman en Algérie, p 87-88.

للمزيد أنظر: نعناعة توامة، المرجع السابق، ص 112-113.